

عَلَامَةُ الْإِيمَانِ

الدرس
23

أَهْدَافُ الدَّرْسِ

- 1- أَنْ أَتَعَرَّفَ عَلَامَةَ كَمَالِ الْإِيمَانِ.
- 2- أَنْ أُمَيِّزَ بَيْنَ عَلَامَاتِ كَمَالِ الْإِيمَانِ وَعَدَمِهِ.
- 3- أَنْ أَحْرِصَ عَلَى اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ.

تَمْهِيدٌ

قَدْ يَقْطَعُ الْمُؤْمِنُ مَرَاحِلَ مِنْ حَيَاتِهِ مُؤْمِنًا، وَلَا يَدْرِي مَا دَرَجَةُ إِيْمَانِهِ؟ فِي حِينٍ أَنْ هُنَاكَ عَلَامَاتٌ تُحَدِّدُ دَرَجَةَ إِيْمَانِ الْمُؤْمِنِ، وَعَلَامَاتٌ تَدُلُّ عَلَى كَمَالِ الْإِيْمَانِ.

فَمَا عَلَامَةُ كَمَالِ الْإِيْمَانِ؟ وَمَا عَلَامَةُ نُقْصَانِهِ أَوْ عَدَمِهِ؟

الْحَدِيثُ

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ».

[حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح]

تَرْجَمَةُ الرَّاوي

أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ الْقُرَشِيُّ السَّهْمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، أَسْلَمَ قَبْلَ أَبِيهِ، كَانَ غَزِيرَ الْعِلْمِ. وَهُوَ أَجَلُ الْعِبَادِلَةِ الْأَرْبَعَةِ، مِنْ عِبَادِ الصَّحَابَةِ وَزُهَادِهِمْ وَفُضْلَائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ، وَمِنْ أَكْثَرِهِمْ رِوَايَةً. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَكُنْتُ لَا أَكْتُبُ. اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ فِي تَارِيخِ وَفَاتِهِ.

الفهم

الشرح:

هَوَاهُ: الْهَوَى: مَا تُحِبُّهُ النَّفْسُ وَتَمِيلُ إِلَيْهِ.

استخلاص المصامين:

- 1 - أُسْتَخْرِجُ مِنَ الْحَدِيثِ عِلَامَةَ كَمَالِ الْإِيمَانِ.
- 2 - أُسْتَخْلَصُ مِنَ الْحَدِيثِ عِلَامَةُ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ.

التحليل

يَجْمَعُ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى وَجَازَتِهِ وَاخْتِصَارِهِ مَا فِي الْأَرْبَعِينَ وَغَيْرِهَا مِنْ دَوَاوِينِ السُّنَّةِ، وَيَشْتَمِلُ الْكَلَامُ فِيهِ عَلَى الْآتِي:

أَوَّلًا: مَعْنَى الْهَوَى

الْمُرَادُ بِالْهَوَى فِي الْحَدِيثِ: هَوَى الْخَيْرِ لَا هَوَى الشَّرِّ الَّذِي يَنْصَرِفُ إِلَيْهِ الذَّهْنُ عِنْدَ سَمَاعِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا فِيهِ، فَقَدْ عُرِفَ فِي اسْتِعْمَالِ الْهَوَى

عِنْدَ الْإِطْلَاقِ أَنَّهُ الْمَيْلُ إِلَى خِلَافِ الْحَقِّ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْقَوَىٰ
فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: 25]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَرْخَافَ مَقَامِ رَبِّهِ، وَنَقَمِ النَّفْسِ
عَنِ الْقَوَىٰ﴾ [39] فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿40﴾ [النازعات: 39-40].

وَقَدْ يُطْلَقُ بِمَعْنَى الْمَحَبَّةِ وَالْمَيْلِ مُطْلَقًا، فَيَدْخُلُ فِيهِ الْمَيْلُ إِلَى الْحَقِّ وَغَيْرِهِ.
وَرُبَّمَا اسْتُعْمِلَ بِمَعْنَى مَحَبَّةِ الْحَقِّ خَاصَّةً وَالْإِنْقِيَادَ إِلَيْهِ، فَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَرْجِعْ مَرْتَضَاءً مِنْهُنَّ وَتَعُوجَ الْيَلَمَ مَرْتَضَاءً﴾
[الأحزاب: 51]، قَالَتْ: «مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ». [صحيح البخاري كتاب
التفسير: سورة الأحزاب].

وَيُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا فِي الْمَيْلِ إِلَى الشَّرِّ، وَهُوَ مِنْ هَوَى يَهْوَى بِمَعْنَى أَحَبَّ،
أَمَّا هَوَى يَهْوِي فَبِمَعْنَى سَقَطَ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْكَلِمَةِ لَا يُلْقِي لَهَا صَاحِبُهَا بَالًا
«يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ». [سنن الترمذي، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس]

ثَانِيًا: عَلَامَةُ كَمَالِ الْإِيمَانِ

كُلُّ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ فَهُوَ حَقٌّ، فَمَنْ اتَّبَعَ هَذَا الْحَقَّ فَقَدْ اتَّبَعَ الدِّينَ بِمَعْنَاهُ
الشَّامِلِ لِلْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، وَالْإِحْسَانِ، وَالِاسْتِقَامَةِ، وَالنُّصْحِ لِلَّهِ، وَلِرَسُولِهِ،
وَلِكِتَابِهِ، وَلِأُئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ. فَعَلَى قَدْرِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ يَكُونُ قَدْرُ
الْإِيمَانِ؛ فَالِاتِّبَاعُ دَلِيلٌ عَلَى الْإِيمَانِ أَوْ كَمَالِهِ، وَالِامْتِنَاعُ دَلِيلٌ عَلَى نَقْصَانِ
الْإِيمَانِ أَوْ ذَهَابِهِ.

وَعَلَى هَذَا، فَالْمُؤْمِنُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَحَبَّتِهِ
وَالْتَّاسِّي بِهِ وَنُصْرَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَتَوْقِيرِهِ، وَتَقْدِيمِ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى هَوَى النَّفْسِ؛
لِيَكْتَمِلَ إِيْمَانُهُ وَيَرْتَقِيَ مِنْ دَرَجَةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ إِلَى دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ.

ثَالِثًا: عَلَامَةُ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ أَوْ عَدَمِهِ

كَمَا يُفْهِمُ الْحَدِيثُ: أَنَّ كَمَالَ الْإِتِّبَاعِ عَلَامَةٌ عَلَى كَمَالِ الْإِيمَانِ، فَإِنَّهُ يُفْهِمُ أَنَّ كَمَالَ الْإِمْتِنَاعِ عَلَامَةٌ عَلَى عَدَمِ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ نُقْصَانَ الْإِتِّبَاعِ عَلَامَةٌ عَلَى نُقْصَانِ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ» يَحْتَمِلُ الْمَعْنَيْنِ مَعًا: عَدَمَ الْإِيمَانِ، وَنُقْصَانَ الْإِيمَانِ.

وَقَدْ صَحَّ فِي تَقْدِيمِ طَاعَةِ اللَّهِ عَلَى الْهَوَى قَوْلُهُ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». [صحيح

البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ...]

وَأَفَادَ أَبُو الزِّنَادِ: أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ؛ لِأَنَّهَا جَمَعَتْ مَعَانِي كَثِيرَةً؛ لِأَنَّ أَقْسَامَ الْمَحَبَّةِ ثَلَاثَةٌ: مَحَبَّةُ إِجْلَالٍ وَعَظْمَةٍ، كَمَحَبَّةِ الْوَالِدِ، وَمَحَبَّةُ شَفَقَةٍ وَرَحْمَةٍ، كَمَحَبَّةِ الْوَلَدِ، وَمَحَبَّةُ اسْتِحْسَانٍ وَمُشَاكَلَةٍ، كَمَحَبَّةِ سَائِرِ النَّاسِ، فَحَصَرَ أَصْنَافَ الْمَحَبَّةِ. وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: وَمَعْنَى الْحَدِيثِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ: أَنَّ مَنْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ عِلْمَ أَنَّ حَقَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفَضْلَهُ أَكْدُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ أَبِيهِ وَابْنِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ لِأَنَّ بِالرَّسُولِ ﷺ اسْتَنْقَذَ اللَّهُ أُمَّتَهُ مِنَ النَّارِ، وَهَدَاهُمْ مِنَ الضَّلَالِ. فَالْمُرَادُ بِهَذَا الْحَدِيثِ بَذْلُ النَّفْسِ دُونَهُ ﷺ. [شرح البخاري لابن بطال، باب

حب الرسول من الإيمان].

مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ:

- مَنْ جَعَلَ هَوَاهُ مُوَافِقًا لِدِينِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ.
- مَحَبَّةُ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّأْسِّي بِهِ وَتَعْظِيمُهُ وَتَوْقِيرُهُ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ.

التَّقْوِيمُ

- 1 - أُصَنِّفُ فِي جَدُولٍ عِلَامَاتِ كَمَالِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ وَإِعْدَامِهِ.
- 2 - أُرَكِّبُ فِقْرَةً مُخْتَصِرَةً أَضْمِنُهَا خُطُورَةَ اتِّبَاعِ الْهَوَى مُسْتَرْتِدًّا بِنُصُوصِ شَرْعِيَّةٍ.

الِاسْتِثْمَارُ

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَمِيعُ الْمَعَاصِي إِنَّمَا تَنْشَأُ مِنْ تَقْدِيمِ هَوَى النُّفُوسِ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى، فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلَى لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ بِأَعْلَمَ آثِمًا يُتَّبَعُونَ أَفْوَاءً هُمْ وَمَرَا ضُلَمٌ إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ قُوِيَهُ يُغَيِّرُ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: 50]. وَكَذَلِكَ حُبُّ الْأَشْخَاصِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ ﷺ، فَيَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ مَحَبَّةُ اللَّهِ، وَمَحَبَّةُ مَنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ عُمُومًا». [جامع العلوم والحكم في شرح حديث الدرس بتصرف]

- 1 - أُبَيِّنُ مِنَ النَّصِّ عِلَاقَةَ اتِّبَاعِ الْهَوَى بِالْمَعَاصِي.
- 2 - أَسْتَخْلِصُ مِنَ النَّصِّ مَظَاهِرَ اتِّبَاعِ الْهَوَى.

الِإِعْدَادُ الْقَبْلِيُّ

أَحْفَظُ حَدِيثَ الدَّرْسِ الْمُوَالِي وَأَسْتَخْرِجُ مِنَ الْحَدِيثِ وَسَائِلَ نَيْلِ مَغْفِرَةِ اللَّهِ تَعَالَى.